

## أدب الناشئة

الدكتورة / أمال صبحي الراشد  
الجمهورية العربية السورية

لتحديد معنى الناشئة لا بد من العودة إلى المعجمات العربية لتجد أن "نشأ الطفل" تعني شب وقرب من الإدراك أي البلوغ، وأن "الناشئ" هو الغلام أو الجارية جاوزا حد الصغر. ويجمع على 'نشئ وناشئة' فالناشئ والفتى والحدث ألفاظ مترادفة وكلها تعني من بارح الطفولة وقرب من البلوغ.

السؤال الذي يجول في فكرنا يطرح نفسه: فما هي الشريحة المقصودة حين نقول: أدب الناشئة أو أدب الفتيان؟ وإلى من يتجه هذا الأدب؟ يجدر بنا القول: إن الأدباء أكثر تساهلاً من العلماء ولا يتشددون في الحدود الزمنية بين الطفولة والمراهقة والرشد وهم حين يطلقون تعبير "أدب الناشئة" أو "أدب فتيان" ينظرون إلى شريحة من القراء تجمع بين نهاية الطفولة والمراهقة بمرحلتها المبكرة والمتأخرة. فعندهم ثلاثة مستويات من الأدب: أدب الأطفال، أدب الناشئة، أدب الكبار وتتداخل هذه الأصناف في توجهها إلى القارئ وتوجه القارئ إليها. فالقضية هنا هي قضية مقدرة على الاستيعاب والفهم لا قضية عمر زمني بحد ذاته لأن المقدرة البشرية لا تخضع للحدود الرقمية والقياسية الصارمة بل يجري التعامل معها ضمن حدود المرونة والنسبية.

**لنسن وتمييزه:** أدب الناشئة هذا المصطلح بسبب تركيبه الإضافي يتضمن التباساً فقد يعني الأدب المكتوب للناشئة والموجه إليهم قصداً أو الصالح لهم ولغيرهم دون أن يكون مكتوباً لهم في الأصل وقد يعني الأدب الذي يكتبه الناشئة أنفسهم ويختلف هذان النوعان اختلافاً جوهرياً.

**فالتنوع الأول** يكتبه الأدباء الكبار ليقرأه الفتيان لأنهم المقصودون بالخطاب والتثقيف ولذا يراعي فيه الكتاب شروطاً معينة كي تناسب مستوى الفتيان من حيث مداركهم وأذواقهم وميولهم ومستواهم الثقافي واللقوي.

**والتنوع الثاني** هو الأدب الذي تنتجه أقلام الناشئة، وهذا له كيان آخر، وصفات مختلفة، وشتان بين كاتب متمرس بالكتابة وفتى حديث العهد بالكتابة يبحث عن نفسه فيما يحاول من تجارب غضة ويعبر عن ذاته وما يجول فيها من الخواطر والأنفعالات الخاصة بسنه وطبيعته مرحلته، ولما كانت عبارة (أدب الناشئة) ذات حدين فقد وجب التمييز بينهما باستخدام هذه العبارة للأدب المكتوب للناشئة واستخدام عبارة (الأدب الذي يكتبه الناشئة) أو (أقلام الناشئة) للدلالة على النوع الثاني كيلا تقع في الالتباس والخلط.

**قضية الحدود** الناشئة يشاركون الكبار والأطفال بعض الصفات، ففي كل طفل كبير مضمّر وفي كل راشد طفل صغير. من هنا لزم أن يشارك أدب الناشئة أدبي الأطفال الكبار بعض الخصائص والمميزات، وأن تتعدم الحدود الفاصلة والحاسمة بين هذه الآداب في كثير من الأحيان.

**يقول أحد الدارسين** "يصعب رسم الحدود بين أدب الأطفال وأدب البالغين، ففسر فانتس" لم يكتب (دون كيخوته) للأطفال ولا للناشئة، وكذلك "سويفت" لم يكتب (جيلفر) لهما. وإن قصص (روبنسن كروزو) و(أليس في بلاد العجائب) صالحة للصغار والناشئة. ومؤلفات جول فيرن صالحة للكبار والصغار والناشئة.

ويقول الكاتب السوفيتي سيرجي ميخالكوف: "لو أخذنا كتبنا للصغار وآخر للراشدين سنرى حتماً حدوداً كبيرة... ولكن هذه الحدود ليست متضادة أو ليس تضادها كبيراً... وإني على ثقة إن أدب الأطفال الحالي يدخل في الأدب العام أو الأدب الراشد تدريجياً كما يدخل النهار في المساء وعلى الرغم من ذلك نرى أدب الأطفال يملك سماته الخاصة التي تزداد كلما قلت سن القارئ". أما الكاتب الروماني "خريستو كاندرو فيانو" فيرفض أن يعترف بتحديد الأدب بالعمر، ويقول: "إن ما نسميه أدباً للأطفال هو في الواقع أدب شامل... وقد يكون الأدب للأطفال والراشدين ولكنه ربما يروق البالغين وربما يروق لنطاق أوسع فكتب سويفت، والأخوة غريم وحكايات بوشكين موجهة للأطفال والبالغين معاً".

وعلى كل حال ليس هذا الامحاء الحدودي عاماً ولا دائماً. فنحن مع ذلك نجد أدباً للأطفال وأدباً للناشئة وأدباً للكبار ويجب علينا أن نتفهم الخطوط العامة والسمات البارزة التي يتميز بها أدب الناشئة والتي تصلح أن تكون معايير لمعرفة واختياره حيث وجدت.

**العرب ومشكلة أدب الناشئة**، بقي قطاع الناشئة مهملأ مدةً من الزمن وانصب الاهتمام على أدب الأطفال وبقي الفتيان محسوبين في الكبار، وليسوا بالكبار وبقيت مرحلة المراهقة

مغفلة من قبل الكتاب، على الرغم من خطورتها وأهميتها وكان على الفتى أن يطالع في أدب الأطفال وقد شب عن الطوق، أو يغوص في أدب الكبار ولم يقوَ على الغوص، وأتى له أن يحظى ببغيتة في خضمي هذين الأديين دون أن تمتد يد إلى توجيهه ومساعدته؟

فإنناشيء، يجب المطالعة لأن المرحلة التي يمر بها هي مرحلة إتمام التكوّن المؤدية إلى النضج والاستقرار. فمن طبعها قضاء وقت الفراغ فيما يجلب الاستمتاع والتسلية، ومن طبعها لعب الخيال الذي لا يريد أن يقف عند حدود وتمادي الأحلام؛ وقرط الحساسية والانفعال والبحث عن الحقيقة وحب الإطلاع والمغامرة وحب الاكتشاف والتطلع إلى المعالي والمثل الأخلاقية والبطولية والنزوع إلى التفكير والمناقشة ونمو القدرات اللغوية وبروز المواهب الأدبية... ولا شيء يلبي هذه الحاجات ويسير بها في الطريق السوي كالمطالعة المرشدة.

فحرمان الفتى المطالعة كارثة تربوية، والكارثة الأكبر أن يقرأ على غير هدى أو يقرأ ما يضره، وما أكثر ما يتعثّر الفتى إذا ترك وشأنه في إرضاء نزوعه إلى المطالعة فقد يقع على كتاب أعلى من مداركه فيضيّع وقته دون طائل. بل ربما أوردته السأم والملل من المطالعة، والأمر الأخطر أن تجذبه الكتب الضارة كبعض الروايات البيوتسية ومسلسلات الخيال المريض البعيد عن الواقع وكتب الغاز والجنس والمجالات المصورة التافهة ذات التوجيه السيء المضلل.

وهذا لا يعني أن ليس في أدب الكبار ما يصلح لقراءة الناشئة ولكن أتى للناشئ أن يكتشف هذا الجانب بنفسه إذا لم يرشده معلم بصير أو مربٍ واع.

ومع ذلك لا تزال نسمع الكثير من المعلمين ينصحون الناشئة بقراءة كتب المنفلوطي وطه حسين والرافعي والعقاد، لمجرد أن هؤلاء كانوا أساتذة الأسلوب الإنشائي في النصف الأول من هذا القرن. مع أن الزمن يسير والأدب يتطور فنحن لا نذكر أستاذية هؤلاء ومكانتهم ولكن أصبح أن أساليبهم لا تزال مقبولة في معايير ذوقية العصر؛ أصبح أن أفكارهم واتجاهاتهم لا تزال كلها مقبولة في هذه الأيام؛ أليس المنفلوطي يعلم البكاء والشاؤم ويبحث عن الإصلاح فلا يهتدي إلى الحل؛ أليس في أسلوب طه حسين الكثير من التكرار والإلحاح على الفكرة الواحدة؛ أليس الرافعي صعباً على إيفهام الناشئة ولا سيما حين يتفلسف؛ أليس العقاد صاحب الأسلوب الجاف؟

وعلى الرغم من هذا وذلك ففي عصرهم يوجد من هو أكثر جاذبية وسهولة وإمتاعاً وبسلاسة كالمازني والبشري ومي زيادة... ويزيد المشكلة تعقيداً تفاوت مستويات الناشئة وأيضاً اختلاف الجنس الذي يؤدي إلى اختلاف المنازع والميول.

ونستنتج مما سبق، أن هذه الصعوبات لم تكن لتوجد إلا بسبب غياب أدب الناشئة وصعوبة الوصول إليه ولذا يضطر الناشئ إلى مطالعة أدبي الكبار والصغار وهما لم يكتبها في الأصل له وضرورة تقييف المعلم بطبيعة أدب الناشئة ومعايير وأسسه حتى يستطيع توجيه طلابه إليه في سياق عمله التعليمي والتربوي. ومثل هذه الثقافة المطلوبة لدى كل من يتصدى لرعاية

مواهب الفتيان وأنشطتهم الأدبية في سائر المنظمات والمؤسسات التربوية. وكما سبقنا شعوب الغرب إلى العناية بأدب الأطفال سبقتنا أيضاً إلى العناية بأدب الناشئة وتزداد هذه العناية عند الشعوب الاشتراكية بسبب اهتمامها بالناشئة تربية وتغذية وترفيهياً. أما العرب فقد اهتموا أولاً بأدب الأطفال، ثم التفتوا في الثلث الأخير من هذا القرن إلى الاهتمام بأدب الناشئة وأخذوا يعدّون لهم السلاسل القصصية ويكتبون لهم المسرحيات والأشعار والمقالات ويخصّونهم بأبواب من المجالات وقد جرى هذا الاهتمام على نطاق التأليف والترجمة والاقتباس والإعداد وعلى صعيد النشر الخاص والرسمي ولكن هذه الوثبة لا تزال في المهد.

**المضمون التربوي في أدب الناشئة:** كل أدب يحمل القيم السائدة في مجتمعه ولا بدّ في - نظر التربية التقدمية- من احتواء الناشئة على مضمون هادف ومفيد، وإلا كان عبثاً وتسلياً فارغاً أو مداعبة سطحية للحواس أو مغامرة ضارة..

والأديب الذي يتوجه إلى النشر- يقوم مقام المربي الغيور الذي ينظر من وراء عمله إلى غاية إنسانية سامية، وهي بناء شخصية الناشئ وإعداده ليكون في المستقبل عضواً فعالاً ونافعاً في المجتمع، وناجحاً في الحياة مزوداً بالخلق والعلم والثقافة تضافه الإنسان الطالع إلى الحياة النهم إلى المعرفة معرفة كل ما يحيط به وما يخطر ببال من التساؤلات وما يعرض له من المشكلات التي تتعلق بوجوده وعلاقاته التي تسهم في تكوين شخصية المراهق ضمن الغاية التربوية الرشيدة.

## المراجع

- ١- المعجم الوسيط إخراج الدكتور إبراهيم أنيس، د. عبد الحليم منتصر، د. عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد - دار الأمواج بيروت.
- ٢- المعجم المدرسي تأليف محمد خير أبو حرب - وزارة التربية في سورية ١٩٨٥.
- ٣- الأدب والقراءة - عبد الرزاق الأصغر وزارة التربية دمشق ١٩٩٠.
- ٤- أدب الأطفال والناشئة في العالم لجمونة من الأدباء ترجمة نادر ذكرى.
- ٥- أدب الأطفال، نظرياً وتطبيقياً، عبد الله أبو هيف، وزارة التربية دمشق ١٩٧٠.
- ٦- أدب الناشئة: تأليف عبدالرزاق الأصغر ونزار نجار وسمر روجي الفيصل سوريا ١٩٩٠.